﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: 49 - 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

من عادةِ القرآن الجمعُ بينَ الرَّجاء والتَّخويف، لئلّا يقعَ القنوطُ أو التَّمادي

لما كان المفهوم من هذا السياق أنَّ النّاجي إنَّما هو المتَّقي المخلَص الذي ليس للشيطان عليه سلطان، وكان مفهوم المخلَص من لا شائبة فيه، وكان الإنسان محلَّ النُّقصان، وكان وقوعه في النقص منافيًا للوفاء بحقِّ التَّقوى والإخلاص، وكان ربَّما أيْأسَه ذلك من الإسعادِ، فأوجب له التَّمادي في البعادِ، قال سبحانه جوابًا لمَنْ كأنَّه قال: فما حال من لم يقم بحقِّ التَّقوى؟ فقال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وربما كان الإخبار بهذه البشارة العظيمة سببًا للإصرارِ على المعصية والمخالفة؛ أمَرَهُ أن يذكرَ لهم شيئًا ممّا يتضمَّن التخويف والتَّحذير، حتَّى يجتمع الرَّجاء والخوفُ، ويتقابل التبشير والتَّحذير، ليكونوا راجين خائفين، فقال تعالى عطفًا على مفعولِ ﴿نَبِّئۡ﴾: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[1].

وأيضًا لمّا ذكر اللّه تعالى الجنَّة والنار وذكر ما فيهما على وجهِ التَّرغيب والتَّرهيب؛ ذكر ما يوجبُ دخولهما من أوصافِه تعالى، للإيذانِ بأنَّ مرجعَ دخول الجنَّة والنّار إلى اللّه تعالى وحدَه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَبِّئۡ﴾: أصلُ (نبأ): ظُهورٌ مَسْبوقٌ بِخَفاءٍ[3]، كالإتْيانِ مِنْ مكانٍ إلى مَكانٍ. يُقالُ لِلَّذِي يَنْبأُ مِنْ أرضٍ إلى أَرْضٍ نابِئٌ، ومِنْهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/62 - 63، والشوكاني، فتح القدير: 3/161.
(2) السعدي، تفسير السعدي: 1/431.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نبأ).

النَّبأُ: الخَبَرُ؛ لأنَّهُ يأتِي مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ[1]. والأنْباءُ: جَمْعُ نَبَأٍ، وأنباءُ الغَيْبِ الأخبارُ المُغَيَّبَةُ عَنِ النّاسِ أو عَنْ فَريقٍ مِنْهُمْ[2]، والإنباءُ الإخبارُ بالنَّبأِ، وهو الخَبَرُ ذو الفائدةِ العظِيمَةِ، بحيثُ يَحْرِصُ السّامِعونَ على اكتسابِهِ؛ ولذلكَ تَضَمَّنَ الإنباءُ معْنَى الإعلامِ؛ لأنَّ المُخْبَرَ بِهِ يُعَدُّ مِمّا يُعْلَمُ، وَيُعْتَقَدُ بوَجْهٍ أخَصَّ مِن اعْتِقادِ مُطْلَقِ الْخَبَرِ، فَهوَ أخَصُّ مِنَ الْخَبَرِ[3]. والنَّبْأةُ: الصَّوْتُ؛ لِأنَّ الصَّوْتَ يَجيءُ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ، ومَنْ هَمَزَ لفظَ النَّبِيِّ (النَّبيء)؛ فَلأنَّهُ أنْبأَ عَنِ اللّه تعالى[4]. والنُّبوءَةُ: سِفارَةٌ بَيْنَ اللّه وبَيْنَ ذَوي العُقولِ مِنْ عِبادِهِ لإزاحَةِ عِلَلِهِم في أمْرِ مَعادِهم ومَعاشِهم. وتَنَبَّأَ فلان: ادَّعى النُّبوَّة[5]. والمقصودُ بالإنباءِ في الآيةِ: الإخبارُ عَنْ أمْرٍ عَظِيمٍ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

اجتماع التبشيرِ والتَّحذيرِ، ليَكونوا راجينَ خائِفينَ

يقول الحقُّ ﷻ: أخبِرْ يا رسول اللّه صلَّى اللّه عليك وسلَّم عبادي خبَرًا جازِمًا مُؤكَّدًا: أنِّي أنا كثيرُ المَغفِرةِ لذُنوبِهم؛ إذا تابوا، فأستُرُ ذُنوبَهم، وأتجاوَزُ عن مُؤاخَذتِهم، كثيرُ الرَّحمةِ بهم؛ إذا استقاموا، ومِن رحمتي أنِّي لا أعذِّبهم على الذُّنوب بعد تَوبتِهم منها، وأخْبِرْ عبادي أيضًا أنَّ عذابي لِمَن أصرَّ على الكُفرِ والمعاصي، فلم يتُبْ منها، هو العذابُ الموجِعُ الكثيرُ الإيلامِ؛ فلْيَحذَروا أسبابَ عَذابِي، ولْيُقبِلوا على التَّوبةِ والإنابةِ إليَّ[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (نبأ).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/92.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/412.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (نبأ).
(5) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نبأ).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 14/81، والشوكاني، فتح القدير: 3/161، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 432.

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الفذلكة في قوله: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾:

ما وعد الله به المؤمنينَ من الجنّات والعيون إنَّما هو بفضله ورحمته

لما أتمَّ ذكرَ الوعدِ المشار إليه بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾، والوعيدِ المرموز إليه بقولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾؛ أتبعه بقولِه تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ تقريرًا لِما ذُكِرَ، وتمكينًا له في النُّفوس، وليكون من بابِ الإجمالِ بعدَ التَّفصيل، ولمّا قدَّم في الإجمالِ ما أخَّر في التَّفصيلِ؛ أشعرَ بقربِ الوعدِ من عبادِه سبحانه، وفيه تنبيهٌ إلى أنَّ ما وعدوا به من الجنّات والعيون إنّما هو بفضل الله تعالى ورحمتِه، وأنَّهم إنَّما استحقّوه بمقتضى وعدِه[1].

سبب إيثار التَّعبير بلفظ ﴿نَبِّئۡ﴾:

الإيذانُ بعظم ما يخبَرُ عنه وأنَّه ممّا ينبغي الإصغاء إليه لعمومِ فائدتِه وعِظَمِ أثرِه

لّما كانَ النَّبأ هو الخبرَ ذا الفائدة الجليلةِ والشأن العظيم[2]؛ عُبِّرَ هنا بقولِه: ﴿نَبِّئۡ﴾ للإيذانِ بعظَم ما يخبَرُ عنه، وأنَّه ممّا ينبغي الإصغاءُ له لصدقِه ولِفائدتِه العظيمة، والمعنى: أخبرْ عبادي خبرًا جليلًا عظيمًا[3]، ولمّا كان ما يُخبَرُ عنه أمرًا عظيمًا، وفيه معنى الكلِّيَّة؛ كان ما جاء في الآيتين جاريًا مجرى الأمثال في عمومِه والإخبار به.

سرُّ التَّعبير بصيغة ﴿نَبِّئۡ﴾:

الإيذانُ بطلبِ تكرارِ الإخبار عن أوصافِ الله لِعَظِيمِ أثرِها في الإيمانِ

عُبِّرَ بـ﴿نَبِّئۡ﴾ دونَ (أنبِئْ) لدلالةِ صيغة (فعَّل) على تكثير الفعل، بمعنى طلب تكرار الإخبارِ، لعِظَمِ الخبرِ وأهمّيَّتِه، كما أنَّ فيه تنبيهًا على تحقيقه وكونِه من قِبَلِ الله[4].

سرُّ التَّعبير بصيغة الخطاب في قولِه: ﴿نَبِّئۡ﴾:

لّما كان الخطابُ للرَّسول ﷺ بصيغة الأمر، أفادَ أنَّهُ أمَرَ رَسولَهُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/580، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213.
(2) الراغب، المفردات: (نبأ)، والكفوي، الكليات، ص: 886.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/64.
(4) الراغب، المفردات: (نبأ).

إشهادُ الرَّسول ﷺ دليلٌ على التزام الله بالمغفرة والرَّحمة لأتباعِه المؤمنين

ﷺ أنْ يُبَلِّغَ أتباعَه هَذا المَعْنَى، فَكَأنَّهُ أشْهَدَ رَسولَهُ عَلَى نَفْسِهِ في الْتِزامِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ، وفي كونِ عذابِه هو العذاب الأليم، والخطابُ وإن كان الأصل فيه أن يكونَ لمعيَّنٍ، ولكنَّه هنا عامٌّ، فيشمل كلَّ مَنْ يَسْمَعُ الأَمْرَ مِنْ أهْلِهِ من أتباعِ رسولِ اللّه ﷺ، ويدخل فيه الرَّسول ﷺ دخولًا أوَّليًّا، باعتبارِه المخاطَب الأوَّل، للإيذانِ بأنَّه تعالى أشهدَ رسولَه في التزام المغفرة والرَّحمة لأتباعِه المؤمنين، كما تقدَّم(1).

دلالة تعدية الفعل في قولِه: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾:

كلُّ أتباعِ رسولِ اللّه ﷺ لهم نصيبٌ من المغفرة والرَّحمة

لمّا كان رسولُ اللّه ﷺ مأمورًا بتبليغ كلِّ القرآن، وكان مأمورًا بتبليغ أوصاف اللّه تعالى التي أمرَه أن يبلِّغَها؛ كان تخصيصُ الأمر هنا بقوله: ﴿عِبَادِيٓ﴾ تشريفًا لهم ولِلإشعار بأنَّه قريبٌ منهم، والمعنى: نبِّئْ كُلَّ مَنْ كانَ مُعْتَرِفًا بِعُبودِيَّتِي، فيَدْخُلُ فيهِ المُؤْمِنُ المُطِيعُ، والمُؤْمِنُ العاصِي، تَغْلِيبًا لِجانِبِ الرَّحْمَةِ والمغفرةِ مِنَ اللّه تَعالَى(2).

نكتة التَّعبير بقولِه: ﴿عِبَادِيٓ﴾:

مَن قامَ بحقِّ عبوديَّتِه للّه تعالى عرف أنّ اللّه غفور رَحيم، وَمَنْ أنْكَرَ استوجب العذاب الأليم

لمّا جاء ذكر العبادِ على الإضافة إلى للّه تعالى على معنى: أنَّهم موصوفون بكونهم عبادًا للّه تعالى، ثُمَّ أثْبَتَ عَقِيبَ ذِكْرِ هَذا الوَصْفِ الحكمَ بِكَوْنِه غفورًا رَحيمًا، وكان تَرْتِيبُ الحُكْمِ عَلَى الوَصْفِ المُناسِبِ مُشْعِرًا بِكَوْنِ ذَلِكَ الوَصْفِ علَّةً لِذَلِكَ الحُكْمِ؛ دلَّ عَلَى أنَّ كُلَّ مَن قامَ بحقِّ عبوديَّتِه للّه تعالى؛ ظَهَرَ في حَقِّهِ كَوْنُ اللّه غفورًا رَحيمًا، وَمَنْ أنْكَرَ ذلِكَ؛ كانَ مُسْتَوْجِبًا للعذابِ الأليم(3).

فائدة الإضافة في قولِه: ﴿عِبَادِيٓ﴾:

تشريف عباد اللّه تعالى وتعظيمهم

لمّا أضافَ اللّه تعالى العبادَ إلَى نفسِهِ؛ أفاد تفخيمهم وتَشْرِيفَهم تشريفًا عَظِيمًا(4).

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/172.

تعظيمُ شأنِ الخبر عن الله تعالى

فائدة تعدية الفعل بنفسِه إلى المصدر المؤوَّل:

لَمّا كان الفعل (نبَّأ) يتعدّى بنفسِه وبحرف الجرِّ؛ كانت تعديتُه هنا بنفسِه إلى المصدر المؤوَّل: ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على سبيل المبالغة في تعظيم شأنِ ما عدّي إليه[1].

مجيء الإسنادِ هنا بطريق المصدر المؤوَّل أبلغ في ثبوتِ المعنى ودوامِه

بلاغة التَّعبير بالمصدر المؤوَّل في الآية:

أفاد التَّعبيرُ بالمصدر المؤوَّل - في قولِه: ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ - إثباتَ إسناد المغفرة والرَّحمة إلى اللّٰه تعالى، وأن يكون المنبَّأ به جملة إسناديَّة بمعنى تصوُّر إثباتِ المسند (الوصفين الجليلين) لِلمسند إليه على طريق الحصر؛ لأنَّ المرادَ تصوُّرُ إثباتِ المغفرة والرحمة على جهة إسنادِهما للّٰه تعالى، ليفيدَ الإسنادُ اختصاص اتِّصاف اللّٰه بهما، ودوام ذلك، وظهور أثرهما في عباده.

تقريرُ إثباتِ وصفَي المغفرة والرَّحمة لله تعالى

بلاغة تتابع التأكيد في الآية:

لَمّا ذَكر اللّٰه تعالى المَغفِرَةَ والرَّحْمَةَ؛ بالَغَ في إثباتِ الوصفَين له ﷻ، فأكَّد الكلامَ بـ(أنَّ) و﴿أَنَا﴾ واسميَّة الجملة، لتقريرِ إثباتِ الوصفين للّٰه تعالى في نفوس المخاطَبين، وللإشعار بقربِ رحمتِه ومغفرتِه منهم.

قربُ الله تعالى من المؤمنين دليلٌ على قرب مغفرتِه ورحمتِه منهم

سرُّ التَّعبير بصيغة ﴿أَنِّيٓ أَنَا﴾:

لم يقل: (نبِّئْ عبادي أنَّ اللّٰه هو الغفور الرحيم) بصيغة ضمير الغائب؛ لِما يؤذِنُ به ضمير المتكلِّم ﴿أَنِّيٓ أَنَا﴾ بقربِ المتكلِّم وحضورِه عندَ المخاطَبين، فتكون مغفرتُه ورحمتُه أقربَ وأيسر تحصيلًا.

اللهُ وحدَه هو الغفورُ الرَّحيمُ

فائدة مجيء الضَّمير ﴿أَنَا﴾:

يُحْتَمَلُ في ﴿أَنَا﴾ أن يكونَ مبتدأ ثانيًا، و﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ خبرًا عنه، وتكون الجملة الاسميَّة خبرًا عن اسم (أنَّ)، كما يحتمل أن يكون ضميرَ فصلٍ، فيفيد تأكيدَ الخبرِ أو تأكيدَ ياءِ المتكلِّم[2]، وعلى كلٍّ يفيد

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/172.
(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/164.

التَّركيب الحصرَ لمجيء الجملة اسميَّةً على التَّوجيه الأوَّل، أو لدلالة ضمير الفصل على التَّوجيه الثّاني، والمعنى: إنّي أنا وحدي الغفورُ الرَّحيمُ، فلا ملجأ لغفرانِ الذُّنوب وللرَّحمة إلّا إلى اللّه تعالى[1].

فائدة (ال) في قولِه: ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

كـمـالُ المغـفـرة والـرَّحـمـةِ لله وحدَه

(ال) هنا لاستغراق الأنواع والأفراد الدال على الكمالِ، بمعنى: أنِّي أنا وحدي الذي أتَّصفُ بكمالِ المغفرة والرَّحمة، وأنَّهما يستغرقانِ جميعَ أنواع المغفرة والرحمة، فهو المالك لسائر أنواعهما، ويستغرقانِ كذلك جميعَ عباده سبحانه، أي: هو الذي أحاط محوه للذنوب ورحمته وإكرامه لمن يريد بجميع ما يريد، لا اعتراض لأحد عليه[2].

بلاغة ذكرِ الوصفين ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

الإنسانُ لا ينفكُّ عن حاجتِه إلى مـغـفـرةِ الـلـه ورحمتِه

لمّا اتَّصلت هذه الآية بذكرِ المتَّقين وأحوالِهم في الجنَّة في ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾؛ ناسَبَ ذِكْرُ الْغُفْرانِ والرَّحْمَةِ هنا، وناسبَ تقديمُ هذين الْوَصْفَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفَ بِهما نَفْسَهُ على وصفِ عذابِه، كما أنَّه لمّا بدأ بِالصِّفَةِ السّارَّةِ أوَّلًا وَهِيَ الْغُفْرانُ، وأتبعها بِالصِّفَةِ الَّتِي نَشَأ عَنْها الْغُفْرانُ، وَهِيَ الرَّحْمَةُ؛ كانَ تَرْجِيحًا لِجِهَةِ المغفرةِ والرَّحْمَةِ، وفي ذكر المغفرة إشعارٌ بأنَّه لم يرد بالمتقين من يتَّقي جميعَ المعاصي، كبيرَها وصغيرَها، وأنَّ المكلَّف لا ينفكُّ عن حاجتِه إلى مغفرة اللّه ورحمتِه[3].

براعة التوصيف بالمغفرة والرَّحمة:

المغفرة والرَّحمة فضلٌ من الله، والعذاب توجبُه ذنوبُ العباد

لمّا ذكر اللّه تعالى المغفرة والرَّحمة؛ أسندَ الوصفين إليه سبحانه، ولمّا ذكر الْعَذابَ؛ لَمْ يَقُلْ: (وأنِّي أنا الْمُعَذِّبُ المؤلِم)، وَما وَصَفَ نَفْسَهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/64، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/172.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149، والبقاعي، نظم الدرر: 11/64.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/483، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80.

بذَلِكَ، بَلْ قالَ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ للإيذانِ بأنَّهما، أي: الوصفين ممّا تقتضيهما ذاتُه ﷻ، وأنَّ العذاب إنَّما يتحقَّق بما توجبُه ذنوبُ العبادِ، كما أنَّ في تقديم الوصفين وإسنادِهما إلى ذاتِه الشَّريفة ترجيحٌ لِلوعدِ بالمغفرة والرَّحمة على عذابِه وتأكيدِه، ومن مرجِّحات الوعدِ أنَّ الإضافةَ في قولِه: ﴿عَذَابِي﴾ لا تستدعي حصولَ المضاف إليه بالفعل، بمعنى: أنَّ عذابي إذا وقعَ هو العذابُ الأليمُ[1].

دلالة مجيء المغفرة والرَّحمة بصيغة فعيل:

المبالغة في الوصف يستدعي المبالغة في الفعل

لمّا جاء الوصفان ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على صيغة المبالغة؛ أفادا تأكيدَ مغفرتِه ورحمتِه سبحانه لعباده المتَّقين، وأنَّ مغفرتَه ورحمتَهُ تحيطان بجميع عبادِه.

براعة العطف في قولِه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾:

لا يُكتَفَى بالإنباءِ عن مغفرة الله ورحمتِه حتَّى يخبرَ عن عذابِهِ الأليم

لمّا كان العطفُ يقتضي تعلُّقَ العامل بالمعطوف والمعطوف عليه معًا؛ أفاد في قولِه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ أنَّ الإخبار عن عذابِ اللّه تعالى الأليم هو أيضًا خبرٌ عظيمٌ، وله شأنٌ كبيرٌ، وتقدير الكلام: (ونبِّئْ عبادي أنَّ عذابي هو العذاب الأليم)، فيفيد الأمرُ وجوبَ اقترانِ الجملتين في الإنباء، وأنَّه لا يُكتفى بالإنباءِ الأوَّل حتَّى يُنبَأ عن الثّاني إتمامًا للمعنى، فما ذكر في بحث ﴿نَبِّئْ﴾ و﴿عِبَادِيٓ﴾ يجري في الجملة المعطوفة كذلك، وأفاد العطف أنَّ الجنَّة لمن استغفر، وأنَّ جهنَّم لمن غوى، وعُرِفَ كذلك أنَّ المتقين إنَّما دخلوا الجنة بمغفرتِه ورحمتِه، وأنَّ الغاوين إنَّما عُذِّبوا بعدلِه[2].

دلالة الإضافة في قولِه: ﴿عَذَابِي﴾:

عذابُ الله ليسَ كأيِّ عذابٍ ممّا يعرفُه النّاس في الدُّنيا

الإضافة هنا على معنى الاختصاص بمعنى: أنَّ العذاب الذي هو مختصٌّ باللّه تعالى ليس كأيِّ عذابٍ بل هو العذاب الأليم.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/149، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/64.

فائدة الضمير ﴿هُوَ﴾:

عذابُ الله وحدَه هــو الــعــذاب الأليمُ

في قولِه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ يحتمل الضَّمير ﴿هُوَ﴾ أن يكونَ مبتدأ ثانيًا، وخبره ﴿ٱلْعَذَابُ﴾، وتكون الجملة خبرًا لـ(أنَّ)، كما يحتمل أن يكونَ ضميرَ فصلٍ، ويكون ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ خبرًا لـ(أنَّ)[1]، فعلى الوجه الأوَّل يفيد الإخبار بالجملة الاسميَّة تقوِّي الحكم وتقريرَه، وفيه معنى القصرِ كذلك بدلالة الجملة الاسميَّة، وعلى الوجه الثّاني يفيد الكلامُ القصرَ بضمير الفصل على جهة التَّصريح مع تأكيدِ الخبر، والمعنى: أنَّ عذابي هو وحدَه العذابُ الأليم.

فائدة (ال) في قولِه: ﴿ٱلْعَذَابُ﴾:

عـذاب الـلـه هو العذاب الكامل الأوصاف

تفيد (ال) معنى الكمال، بمعنى أنَّ عذابي هو العذاب الكامل الأوصافِ في التعذيب، والذي يستحقُّ وحده أن يسمَّى عذابًا، فأيُّ عذاب سوى عذاب الله ليس بعذابٍ كاملِ الأوصافِ، ولمّا كان حملُ المسندِ على المسندِ إليه من أجلِ أن يفيدَ فائدةً متجدِّدةً؛ دلَّ على أنَّ المرادَ بالإخبار عن ﴿عَذَابِي﴾ المسندُ ونعتُه جمعًا وإفرادًا، والتَّقدير: وأنَّ عذابي هو العذاب الكامل الأليم، فيكون الله تعالى قد أخبر عن عذابه بأنَّه العذاب الكامل، وأنَّه أليمٌ، وإنَّما جاء بطريق النَّعت، وليس بطريقِ تعدُّد الخبر للإشعارِ بأنَّ عذابَه لا ينفكُّ عن كونه أليمًا، فهو وصفٌ لازمٌ له.

فائدة (ال) في قولِه: ﴿ٱلْأَلِيمُ﴾:

ألـم الـعـذاب في جهنَّم هو الألم الكامل الأوصاف

تفيد (ال) معنى الكمال كذلك، والمعنى الكامل في الألم، بحيث لا يوجد عذابٌ يستحقُّ أن يوصفَ بأنَّه أليمٌ سوى عذاب الله تعالى، أعاذنا الله منه.

---

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/164.

دلالة الوصف في قولِه ﴿ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾:

العذاب يومَ القيامةِ لا يشبهه عذابٌ آخر

لَمّا كان العذاب لا يكونُ إلّا موجِعًا، وكان الأليم بمعنى الموجِعِ الوجعَ الشَّديد؛[1] أفاد الوصف تقريرَ ما تضمَّنه ذكر العذاب من كونِه مؤلِمًا موجعًا وجعًا شديدًا، بمعنى: أنَّ العذاب مؤلمٌ لِمن يقع عليه، وأنَّه قد بلغ الغاية في ذلك بحيث لا يشبهه عذابٌ آخر.

الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّبأ والخبر:

حقُّ النَّبَأِ أن يكونَ لشأنٍ عظيمٍ وأن يتعرَّى عن الكذب

النبأ هو الخبر الذي له وقعٌ وشأنٌ عظيمٌ، ومنه اشتقاق النبوَّةِ على القول بأنَّها مسهَّلة من النُّبُوءة، لأنَّ النبيَّ مخبرٌ عن اللّه تعالى، ولا يكون النَّبأُ إلّا للإخبار بما لا يعلمه المخبَر، ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه، وبما لا يعلمه، ولهذا يقال: تخبرني عن نفسي، ولا يقال: تنبئني عن نفسي، وكذلك تقول: تخبرني عمّا عندي، ولا تقول: تنبئني عمّا عندي، ولهذا يقال: سيكون لفلان نبأٌ، أي: شأنٌ عظيمٌ، ولا يقال: سيكون له خبر بهذا المعنى، وحقُّ الخبر الذي يقال فيه: نبأ أنْ يتعرَّى عن الكذب، فقد يقع الكذب في الخبر، ولا ينبغي أن يقع الكذب فيما يُنبأُ عنه[2].

توجيه المتشابه اللفظي:

مناسبةُ اللفظ لسياقِه وسباقِه

جاء في هذه الآيةِ تقديم وصفِ المغفرة على وصف العذابِ، فقال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾، وجاء في سورة المائدة قولُه تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: 98]، ومناسبتُه أنَّ قوله: ﴿نَبِّئۡ﴾ أمرٌ من اللّه إلى الرسول بأن ينبئَ الخلق، وقُدِّمَ الوصفُ بالمغفرةِ والرَّحمةِ على العذابِ الأليمِ؛ لأنَّ المقصودَ بالإخبارِ اتِّصاف اللّه

(1) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ألم).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41، والرّاغب، المفردات: (نبأ)، والكفوي، الكليات، ص: 886.

تعالى بوصفي المغفرة والرَّحمةِ، ولأنَّ المقامَ مقامُ تفضُّلٍ وإحسانٍ لِما سبقَ من ذكرِ الجنَّة وأحوالِها ونعيمِها، فقُدِّمَ الجانبُ الذي فيه اللُّطفُ والإحسانُ، وأمّا آيةُ المائدةِ؛ فقد ذكرت عقيب أحكام شرعيَّةٍ عظيمة، فيها مخالفة لأوامر الله تعالى ونواهيه، وقد يخلُّ بها المرءُ، فقُدِّمَ فيها جانبُ التَّهديدِ، فناسبَ كلٌّ سياقَه[1].

(1) ابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين: 2/436.